

# أُنْمُوذَجُ الْقِتَالِ فِي نَقْلِ الْعَوَالِ

تقديم وتحقيق:

د. معجب العدواني

## الفهرس

ث	مدخل
خ	مقدمة

### أُنْمُوذَجُ الْقِتَالِ فِي نَقْلِ الْعَوَالِ

التعريف بالمؤلف : الشيخ شهاب الدين أحمد بن

يحيى بن أبي حجلة التلمساني رحمه الله ح ح

### أُنْمُوذَجُ الْقِتَالِ فِي نَقْلِ الْعَوَالِ

١

المقدمة في ذكر ما جاء في الشطرنج عن السلف وأئمة الخلف من حرمة  
وكراهة ، وإباحة وفكاهة ، ونحو ذلك مما يتعلق من جهة العربية

٨

والنكت الأدبية

١١

ذكر شروط جواز اللعب بالشطرنج

١٦

فصل في ذكر ما جاء في الشطرنج من جهة العربية والنكت الأدبية

### الباب الأول

في ذكر أول من وضعه واخترعه والسبب الموجب لذلك وذكر ما هنالك

٢٣

من حسن الصنعة وعجائب تضعيف الرقعة

### الباب الثاني

في ذكر طبقات أربابها ، وقیم دوابها ، وما في معنى ذلك من المصادفة

٤١

عند المثاقفة

### البَابُ الثَّالِثُ

فِي ذِكْرِ رِسَالَةِ الْأَدِيبِ الْكَاتِبِ الصُّوْلِيِّ الَّتِي جَعَلَهَا كَالْعَهْدِ لِأَرْبَابِ هَذَا  
الْبَابِ ، وَذَكَرَ طَرَفَ مِمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ رِسَالَتِي رَدَّ الْهَزْلِ إِلَى الْجَدِّ  
لِلْإِعَانَةِ عَلَى سِيَاسَةِ الْمُلْكِ وَتَدْبِيرِهِ ، وَمَا يَجِبُ عَلَى الْمَلِكِ وَوَزِيرِهِ وَغَيْرِ  
ذَلِكَ

٥١

### البَابُ الرَّابِعُ

فِي ذِكْرِ أَدَبِهِ وَوَقْتِ اللَّعِبِ بِهِ وَمَا جَاءَ فِيهِ مِنْ كَلَامِ الْأَطِبَّاءِ الْأَلْبَاءِ ، مِمَّا  
يَتَعَلَّقُ بِالْعِلَاجِ ، وَإِصْلَاحِ الْمَزَاجِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الْأَوْفَاقِ ، الْحَسَنَةِ  
الْإِتِّفَاقِ

٦٧

### البَابُ الْخَامِسُ

فِي ذِكْرِ مَا جَاءَ فِي مَذْهَبِهِ وَتَبْدِيدِ شَمْلِهِ وَضَمِّهِ ، وَذِكْرِ مَا يَقَعُ مِنْ  
أَرْبَابِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْهَذْيَانِ وَفَلَتَاتِ اللِّسَانِ

٧٥

### البَابُ السَّادِسُ

فِي ذِكْرِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنْ اخْتِرَاعِ الْأَوْضَاعِ وَالْمَخَارِقِ الَّتِي تَخْرُقُ الْعَقْلَ  
بِالنَّقْلِ بِهِ مِثْلَ حِكَايَةِ الْمُرْكَبِ الْكَبِيرِ ، وَإِخْرَاجِ الضَّمِيرِ ، وَنَحْوِ ذَلِكَ

٨٧

### البَابُ السَّابِعُ

فِي ذِكْرِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الْمُنَاطَرَةِ وَحُسْنِ الْمُحَاضَرَةِ وَمَا فِي مَعْنَى ذَلِكَ مِنَ  
الْحِكَايَاتِ اللَّطِيفَةِ وَالنُّوَادِرِ الطَّرِيفَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ ، وَمَا يُنْشَدُ عَلَيْهِ ، وَيُكْتَبُ  
عَلَى سَفَرَتِهِ

١٠٧

### البَابُ الثَّامِنُ

فِي ذِكْرِ مَا جَاءَ فِيهِ مِنَ الْوَشْيِ الْمَرْقُومِ ، مِنَ الْمُنْثُورِ وَالْمَنْظُومِ لِلْمُتَقَدِّمِينَ  
وَالْمُتَأَخِّرِينَ مِنَ الْعَصْرِينِ الْمِصْرِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ ————— ١١٧

### خَاتِمَةٌ

فِي ذِكْرِ الْمَقَامَةِ الشَّطْرَنْجِيَّةِ الَّتِي أَنْشَأَتْهَا بِاسْمِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ  
صَاحِبِ مَارْدِينَ وَأَحَقَّتْهَا بِالْمَقَامَاتِ الَّتِي أَنْشَأَتْهَا بِاسْمِ السُّلْطَانِ الْمَلِكِ  
النَّاصِرِ حَسَنَ رَحِمَ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ ، وَجَعَلَ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُومِ شَرَابَهُ ————— ١٢٧

## مدخل

دُعيت لإلقاء محاضرة في نادي الطائف الأدبي في صيف عام ٢٠٠١م ، وقد ترك لي اختيار الموضوع ، كان موضوع تناول لعبة ما وتحليلها هاجساً أوقعني في مأزق الاختيار الصعب بين ألعاب حديثة أو قديمة مهجورة أو ثالثة لا تزال تقاوم البلى ، لكنني وجدت في لعبة الشطرنج ذلك العمق التاريخي الذي يضرب بجذوره في التراث الشعري أو القصصي ، فقررت اختيار الشطرنج بوصفه لعبة لها علاقاتها مع القصيدة العربية الكلاسيكية ، أُلقيت المحاضرة التي كانت بعنوان (الشطرنج : اللعبة والقصيدة) وحظيت بردود فعل متباينة ، وقد تراوحت بين المرحب بالفكرة والرافض لها ، لكنني خرجت أكثر إصراراً على المواصلة وتتبع الموضوع وأعقب ذلك نشر الموضوع في جريدة الرياض اليومية ، وكانت ردود القراء إيجابية إذ استقبل بريدي الإلكتروني عدداً كبيراً من الرسائل ، تحت على مواصلة المشروع الذي نُشر منجماً على سبع حلقات .

زادني هذا التلقي المباشر رغبة في إخراج المشروع في كتاب يصل إلى كل قارئ مهتم بهذا الجانب ، وحرصت على جمع ما يصل إلى يدي في إطار الموضوع ، وظل انشغالي بالدراسات الأكاديمية حاجزاً يمنع استمرار البحث فيه ، لكنه ظل ملاذاً مريحاً من عناء البحث النقدي الصرف ، وفي إحدى محاولات الهروب كنت في مكتبة جون ريلاند في جامعة مانشستر بالملكة المتحدة أتصفح فهرس المخطوطات العربية الموجودة في الجامعة ، فلمحت عنوان إحدى الدراسات الصادرة في دورية المكتبة عام ١٩٣٢ التي تتضمن إشارة إلى وجود مخطوطتين كاملتين وجزء من ثالثة عن الشطرنج في المكتبة ، فذهبت فوراً إلى

قسم المخطوطات راغبًا الاطلاع عليها ، ظانًا أن الأمر يسير ، وأن من الممكن أن أتناولها فوراً ، لكنهم أخبروني أن هاتين المخطوطتين من النوع النادر ، ومن الصعوبة أن أطلع عليهما إلا برسالة موافقة من قسم الدراسات الشرق أوسطية في الجامعة ، وكان من الصعب حينها إقناع رئيس القسم الدكتور فيليب صادقروف بأن هذا الموضوع مهم لطالب النقد الحديث ، فأخبرته بما كتبت في هذا الحقل ورغبتي في استكمال ذلك ، فبادر مشكوراً إلى كتابة رسالة إلى قسم المجموعات الخاصة في المكتبة ، وقد كانت هذه الرسالة هي المفتاح الذهبي لبدء تجربتي في الاطلاع على المخطوطات القديمة .

كانت محاولة تصويرهما صعبة جداً نظراً لحساسية الورق ، وحرص المكتبة على المحافظة عليهما فكان علي أن أنقل المخطوطتين بقلم الرصاص ، لذا فقد استغرقت الكتابة بتلك الطريقة البدائية وقتاً ليس بالقصير ، كما قمت بعد ذلك بزيارة إلى مدينة لندن بعد التنسيق مع مكتبة المتحف البريطاني الذين أخبروني أن لديهم نسخة متأخرة في تاريخها لإحدى المخطوطتين وهي مخطوطة ابن أبي حجلة ، ونظراً لكونها تعد نسخة حديثة فقد وعدوني بتصويرها وإرسالها إلى عنواني في مانشستر ، وتفتقر تلك النسخة إلى كثير من أبجديات الكتابة لكنها كانت تستند إلى النسخة الأقدم .

وبعد مرور سنوات أدركت ضرورة إصدار هاتين المخطوطتين في إصدارين قد يجد فيهما الأكاديمي إجابة ما ، وقد يجد فيه القراء متعتهم ، ولعل الأهم من هذا وذاك هو كونهما عن موضوع رأى بعض الدارسين في تناوله حرجاً ، وربما كانوا لا يعلمون أن هؤلاء الأدباء والفقهاء قد بادروا إلى تأليف هذه الأعمال منذ قرون ولم يشعروا بالحرج أو التردد . ومن هنا كانت الرغبة في نشر هاتين المخطوطتين : الأولى بعنوان «أنموذج القتال في نقل العوال» : و«نزهة أرباب العقول في الشطرنج المنقول» راجيا أن يكون في ذلك جليل فائدة علمية للقراء والباحثين . وأود هنا أن أثبت دور أصدقاء وأكاديميين في إخراج هذا العمل إلى النور لأسجل شكري لهم جميعاً ، فقد كان رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط

الدكتور صادجروف متعاوناً جداً في تيسير إجراءات الاطلاع على المخطوطتين في جامعة مانشستر ، ولالأستاذ الدكتور عبدالعزيز المانع في كلية الآداب بجامعة الملك سعود جزيل الشكر والتقدير على تفضله بالاطلاع على مخطوطة هذا العمل وتقديمه نصائح مهمة لإخراجه بالصورة المطلوبة ، وكان للصديقين الأستاذ عبدالله محمد الناصر الملحق الثقافي السعودي السابق بلندن والدكتور محمد عبدالرزاق عبدالغفار الأستاذ بجامعة البحرين دور كبير في تشجيعي وتزويدي بأرائهما النافعة فلهما خالص التقدير ، ولا يفوتني أن أشكر الدكتور أحمد سليم غانم الأستاذ بجامعة أم القرى على اطلاعه على هذا العمل وإبداء ملحوظاته .

## المقدمة

تبدأ قراءتنا لهذه اللعبة من خلال علاقتها الأولية والمباشرة مع لعبة أخرى طالما شاركتها في الفضائين : التاريخي والسردى ، إلى جانب مشاركتها إياها في الإطار المكاني ولاسيما ذلك التعالق الوثيق بينهما في الإطار الشكلي في عصرنا الحاضر ، إذ كثيراً ما تأتي لعبة الشطرنج غلاًفاً للعبة النرد ، وسنرمي هنا إلى محاولة الكشف عن أوجه التشاكل والاختلاف بين هاتين اللعبتين ، ولنبدأ ذلك عبر مدخل معجمي للفظتين :

رأت العرب الشُّطرنج بكسر الشين أجود ، ولا يفتح أوله والسين لغة فيه ، وقيل لأن الشين من لفظ الشُّطرنج والفتح خطأ وصححوه بالمهملة والمعجمة . ويقول صاحب التاج عن لعبة الشُّطرنج (لعبة معروفة) قيل من الشطارة ومن المشاطرة أو من التشطير هذا لمن أسندها إلى العربية ، وقيل فارسي معرب ، ولعله الأصح ، من (صدرنك) أي الحيلة ، ومن شدرنج أي من اشتغل به ذهب عطاؤه باطلاً أو شطرنج : ساحل التعب<sup>(١)</sup> .

ونلاحظ في هذه التعريفات المتعددة اشتمالها الواضح على خصائص اللعبة إذ يمكننا أن نقول : إن هذه التأويلات جاءت اجتهادية لا تعريفية ، أي أنها اهتمت بالتعرف على اللعبة عن طريق التعرف على تلك الخصائص سواء أسندت المفردة إلى العربية أو غيرها . وكأن هذه التأويلات تؤكد على هذه الملامح النابعة من اتجاهات عدة . ولنتناولها تفصيلاً : فالشطارة من إعياء الأهل

(١) مرتضى الزبيدي : تاج العروس ، مادة (شطرنج) .



خبثاً ومكرًا ، ونزح عنهم وتركهم ، وللشطارة علاقتها المباشرة باللعبة وذلك لكونها تعتمد على المكر والدهاء وابتكار الخطط وتجاوز التشطير والمشاطرة ، وهو ما نجده في إحالة المفردة إلى الفارسية ، فالحيلة وحدها كما تشير مفردة (صدرنك) هي التي تذهب عطاء أحد المشاركين فيها باطلاً . وقد تكون الشطرنج ساحلاً للتعب كما يقترح المعجم اللغوي بما تشمله مفردة ساحل من امتداد لانهائي ، وفصل بين جغرافيتين مختلفتين هما أشبه بامتداد ولانهاية اللعبة ، إلى جانب فصل بين حالتين مختلفتين ، فقد قيل أيضاً إن آدم وحواء ابتدعا لعبة الشطرنج بقصد التفريغ عن مصابهما حين قتل هابيل ابنهما ، ولبيدع الزمان الهمداني هذه الأبيات :

لازلتما في نعمة بعدي  
وعشتما في القرب والبعد  
قامرني الدهر سروري بكم  
بغــــــــــــير شطرنج ولا نرد  
قد عشتما قبلي فعيشا معي  
ثم أبقيا بعدي لمن بعدي

وفي عرض المسعودي لتاريخ ملوك الهند أن لعبة النرد كانت اللعبة السائدة في أيام الملك الباهبود بن البرهمن إذ في أيامه عملت النرد ، وأحدث اللعب بها ، وجعل ذلك مثلاً للمكاسب ، وأنها لا تنال بالكيس ، ولا بالحيل في هذه الدنيا ، وأن الرزق لا يتأتى فيها بالحدق ، قد ذكر المسعودي أن أردشير بن بابك أول من صنع النرد ، ولعب بها وأرى تقلب الدنيا بأهلها ، واختلاف أمورها<sup>(١)</sup> . ويذكر القلقشندي «الشطرنج بفتح الشين المعجمة أو السين المهملة لغتان والأولى منهما أفصح وهو فارسي معرب وأصله بالفارسية شش رنك ومعناه ستة ألوان وهي الشاه والمراد بها الملك والفرزان والفيل والفرس والرخ والبيدق ، ثم

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ص ٨١ .

الشطرنج من أوضاع حكماء الهند وحكمهم ، وضعه صصه بن داهر الهندي لبليهب ملك الهند مساواة لأردشير بن بابك في وضعه النرد وعرضه على حكماء زمانه فقصوا بتفضيله ثم عرضه على الملك وعرفه أمره فقال احتكم علي فتمنى عليه عدد تضعيف بيوته من قمحه إلى نهاية البيوت فاستصغر همته وأنكر عليه مواجهته بطلب نزر يسير فقال هذه طلبتي فأمر له بذلك فحسبه أرباب دواوينه فقالوا للملك إنه لم يكن عندنا ما يقارب القليل من ذلك فأنكر ذلك فأوضحوه له بالبرهان فكان إعجابه بالأمر الثاني أكثر من الأول قال ابن خلكان ولقد كان في نفسي من هذه المبالغة شيء حتى اجتمع بي<sup>(١)</sup> . ويعد هذا التعدد الشر في تحديد لحظة ابتكار اللعبة جزءاً مهماً يتبع لا نهائية اللعبة وخططها ، إذ تختلف آراء المؤرخين في تحديد اللحظة الأولى لابتكارها .

ويتصل الشطرنج بالنرد (بفتح النون وتشديدها) واختلف في واضعه كما اختلف في واضع الشطرنج ولكنهما يتفقان في كونهما لا يُذكران غالباً إلا متصلين ، ويتفقان في العجمة المعربة ، وبما أن الموضوع قد تطرق إلى العلاقة التي تصل الشطرنج بالنرد ، وهي علاقة متشابهة مختلفة في أن : إذ تتشابه العلاقة في كونهما لعبتين ، وهما لعبتان تختلفان في النظر إلى نشأة اللعبتين ؛ حين نرى الاختلاف بينهما يصل حد التناقض ، ويتأتى ذلك عبر الاعتماد الكبير للنرد على الحظ وتكريسه هذا المفهوم بينما يظهر التعطيل لمفهوم الحظ هذا في لعبة الشطرنج جلياً ، إذ يكشف النرد عن لعبة تعتمد مفهوم الجبر ، وتفصح الشطرنج عن لعبة تقصي هذا المفهوم لدى الإنسان .

ولا يعني ذلك خلو اللعبة من ملامح جبر تنقص ذلك حين تبرز في طبيعتها المباشرة ، فحين يتم اختيار أحد اللونين لقطع الشطرنج ، وهما لا يتجاوزان الأبيض والأسود ، من قبل أحد اللاعبين فإن اللاعب الآخر سيصبح مرغماً على اللعب باللون الآخر ولو تعارض ذلك مع رغبته ، وحين يختار

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٥٨ .

اللاعب اللون الأسود فإن ذلك اللاعب سيصبح مرغماً على أن يلعب بعد خصمه الذي نال اللون الأبيض .

حين يكتب المسعودي عن التُّرد فإنه يكشف عن علاقتها المباشرة وغير المباشرة باللعبة الأخرى (الشُّطرنج) فتراه يكتب عن خصائص اللعبة كما كتب عن خصائص لعبة التُّرد «ثم ملك بلهيت ، وصنعت في أيامه الشُّطرنج ، فقضى بلعبها على التُّرد ، وبين الظفر الذي يناله الحازم ، والبلية تلحق بالجاهل ، وحسب حسابها ، ورتب لذلك كتاباً للهند يعرف بطرق جنكا يتداولونه بينهم ، ولعب بالشُّطرنج مع حكمائه ، وجعلها مصورة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم من الحيوان مما ليس بناطق ، وجعلهم درجات ومراتب»<sup>(١)</sup> .

سئل أحد أبطال اللعبة في العصر الحديث عن الشطرنج فأجاب : «إن الشُّطرنج هو الحياة» وبما أن الحياة صراع كبير وكل لعبة عادة تحتوي هذا البعد الصراعى الدائم وتحمل هذا النموذج الصراعى المتداخل إلا أن الشُّطرنج تجسد صراعاً مختلفاً فيه المباشرة والوضوح وتحديد الميزات والموازن بصورة دقيقة لا تسمح إلا للعقل بالتفوق ، لقد تحول صراع الحياة الدائم إلى استعارة تمارس داخل مربعات صغيرة تشملها رقعة أكثر سعة إلا أنها تحمل عناصر هذا الصراع في داخلها . وقد قالوا : إن سبب وضع الشُّطرنج أن ملوك الهند ما كانوا يرون بقتال ، فإذا تنازع ملكان في كورة أو مملكة تلاعبا بالشُّطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال وقيل إنه كان لبعض ملوك الفرس شطرنج من ياقوت أحمر وأصفر القطعة منه بثلاثة آلاف دينار.<sup>(٢)</sup> ومن هنا كانت ملامح الإبداع في الشُّطرنج واضحة وضوحاً تاماً فالرحيل من حياة معتادة سائدة إلى كون جديد يعني : اختراق الأفق ، هذا الدخول إلى الأفق الجديد ليس إلا ملامح إبداع جديدة ترسم عبرها خطوط وتفاصيل الحياة الكبرى مصنوعة في الخطوط الدقيقة التي

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٨ .

(٢) الأَبشيهي : المستطرف ، ج ٢ ، ص ٤٢٢ .

تمنحنا إياها هذه اللعبة والتي وفرت لنا رحلة جديدة قديمة في أن إلى فضاءات الإبداع .

أما عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد سئل عنه فقال : وما الشطرنج؟ فقليل له : إن امرأة كان لها ابن وكان ملكاً فأصيب في حرب دون أصحابه . فقالت : كيف يكون هذا أرونيه عياناً؟ فعمل لها الشطرنج ، فلما رأته تسلت بذلك . ووصفوا الشطرنج لعمر رضي الله عنه فقال : لا بأس بما كان من آلة الحرب . ولعل من الأنسب الإشارة إلى أن هذا القول لعمر قد ورد للرد على من استشهد برأي عمر بن الخطاب في جواز لعبه ، إذ يضيف المؤلف قوله «هذا لا حجة فيه لأنه لم يقل لا بأس بالشطرنج وإنما قال لا بأس بما كان من آلة الحرب وإنما قال هذا لأنه شبه عليه أن اللعب بالشطرنج مما يستعان به على معرفة أسباب الحرب فلما قيل له ذلك ولم يحط به علمه ، قال لا بأس بما كان من آلة الحرب إن كان كما تقولون فلا بأس به وكذلك من روى عنه من الصحابة أنه لم ينه عنه فإن ذلك محمول منه على أنه ظن أن ذلك ليس يتلهم به وإنما يراد به التسبب إلى علم القتال والمضاربة فيه أو على الخبر المسند» .<sup>(١)</sup>

هنا يتأتى سؤال الحكمة الموضوع مع كل نقلة شطرنجية . . . ، وسؤال ابتكار اللعبة وبنائها . واتصال ذلك ببناء الحكمة في الذات» ، سأل المأمون حكيمة ذوبان الذي بعث به إليه ملك زابلستان لما أعجب بعلمه : من أين لك هذا ؟ فقال من كتب الحكماء ، ومن أحكام صصه بن داهر الهندي الذي وضع الشطرنج» .<sup>(٢)</sup> عندئذ يمكننا القول : إن الشطرنج لم تكن لعبة مصاحبة للنرد ولكنها لعبة حلت محلها ، وربما تجاوزتها بالإلغاء عبر تضخيم القدرات الذاتية للإنسان السوبر كما يشير (نيتشه) . لتكون النرد لعبة مخلوق فحسب ، أما الشطرنج فلعبة مخلوق قادر على الإبداع .

---

(١) تفسير القرطبي ، ج ٨ ، ص ٣٣٩ .

(٢) مقدمة ابن خلدون ، ص ٣٣٧ .

كان المأمون يقول : عجبت من ذراع في ذراع يديرها العقلاء منذ دهر طويل فلم يقفوا لها على غاية ، وكان سعيد بن جبير يقول ما وضع هذا الشُّطرنج إلا لأمر عظيم .<sup>(١)</sup> لقد أدرك الشاعر العربي هذه المفارقة غير السعيدة في ممارسة اللعبتين فرأى أن يشارك في ذلك بأبياته :

لا خير في التُّرد لا يغني ممارسها  
حسن الذكاء إذا ما كان محروما  
تريك أفعال فصيحها بحكمهما  
ضدين في الحال ميمونا ومشؤوما  
فما تكاد ترى فيها أخا أدب  
يفوته القمر إلا كان مظلوما

كان يعاب على بعض الشافعية في الطبقات مداومته على لعب الشُّطرنج ، ولذا كان الترخيص فيه من بعض العلماء ، فقد سئل الشعبي عن اللعب بالشُّطرنج فقال : لا بأس به إذا لم يكن هناك تقامر وتبادل وقال بعضهم كنا في السجن مع ابن سيرين فكان يرانا ونحن نلعب بالشُّطرنج فيقوم فيأتي ويقول : ارفع الفرس ارفع كذا افعل كذا ولا يعيب علينا ، وعن سعيد بن المسيب قال : كنت أَلعب الشُّطرنج مع صديق في بيته حين خفت الحجاج . ولذا كان تأويل القرطبي الذي يفند فيه أقوال من سوغوا اللعب بها وأباحوه «وأسندوا إلى قوم من الصحابة والتابعين أنهم لعبوا بها وما كان ذلك قط ، وتالله ما مستها يد تقى ويقولون : إنها تشحذ الذهن والعيان يكذبهم ، ما اشتغل بها قط رجل له ذهن ، سمعت الإمام أبا الفضل عطاء المقدسي يقول بالمسجد الأقصى في المناظرة : إنها تعلم الحرب ، فقال له الطروشى : بل تفسد تدبير الحرب لأن الحرب المقصود منها الملك واغتياله ، وفي الشُّطرنج تقول : شاه إياك الملك نحه عن

---

(١) انظر : الثعالبي : اللطائف والظرائف ، ص ٨٩ .

طريقي ، فاستضحك الحاضرين» .<sup>(١)</sup> ويأتي هذا القول ردًا على بعض الشافعية الذين أباحوا اللعب بها إذ أشاعوا مقولة فقهية : إذا سلمت أيديهما من الضرب والخسران ، وألستهما من الفحش والعدوان ، وصلاتهما من السهو والنسيان ، كانت أدبًا بين الإخوان والخلان» .<sup>(٢)</sup> ومما هو جدير بالذكر ما قالته الشافعية : «إن الشطرنج يخالف النرد لأن فيه إكداد الفهم واستعمال القريحة والنرد قمار غرر لا يعلم ما يخرج له فيه كالاستقسام بالأزلام السابعة ، قال علماؤنا : النرد قطع مملوءة من الخشب ومن عظم الفيل وكذا هو الشطرنج إذا هو أخوه غذي بلبانه والنرد هو الذي يعرف بالباطل ويعرف بالكعاب ويعرف في الجاهلية أيضًا بالأرن ويعرف أيضًا بالنردشير» .<sup>(٣)</sup>

لم تكن هذه اللعبة نصًا وحيدًا له طابع الاستقلالية عن غيره ، ولكنه كغيره من النصوص ظل يتكئ على نصوص موازية أشبه بمحددات لهذا النص نفسه ، وقد أثرت تلك النصوص الموازية على اللعبة حتى أصبح لها تعالقاتها الكبيرة معها ، وأصبحت طقوس التعامل مع الشطرنج تعتمد على تلك النصوص . وتتوضع تلك النصوص الموازية في نوعين :

- نصوص مجانية قصيرة لها طابع الرتبة والتكرار ، وذلك نحو (كش ملك) (شيخ مات) أو (chake mate) . ولكنها مع رتابتها لها طابع الوظيفة المؤدية إلى الحسم والإنهاء وإعلان النتيجة ، وتقال بطريقة توحى بالنصر وتبشر به ، إنها تمثل الكلمة النهائية والقول الفصل في الصراع الدائر ، ويلاحظ أننا في الإطلاق العربي نربط بين (الشيخ) و(الملك) والأصل العربي كما تدل عليه (شيخ مات) فتتداخل الإنجليزية المتأثرة بالعربية في صياغة هذه الجملة مع العربية السائدة (كش ملك) . ويوحى هذا التداخل بأساس ثقافي ينضح بالتعددية لهذه اللعبة

---

(١) القرطبي : تفسير القرطبي ، ج ٨ ، ص ٣٣٩ .

(٢) الثعالبي : اللطائف والظرائف ، ص ٨٩ .

(٣) القرطبي : ج ٨ ، ص ٣٣٧ ، ٣٣٨ .

الهجين التي تؤمن بتلاقي الحضارات وتكاملها .

- نصوص أدبية متنوعة منها الأرجاز والنوادر وغير ذلك من النصوص التي تهدف إلى تحريك الإطار اللغوي الموازي لنص الشطرنج» وقد استعمل لاعبو الشطرنج عليها فنون الهزل والنوادر المدهشة ، فزعم كثير منهم أن ذلك مما يبعث على لعبها وانصباب المواد وصحة الأفكار إليها ، وأن ذلك بمنزلة الارتجاز الذي يستعمله أهل القتال عند اللقاء ، والحادي عند الإعياء ، والمائح للغرب عند الاستقاء ، وأن ذلك عدة اللاعب كما أن الشعر والارتجاز من عدة المحارب .

وقد أشار إلى ذلك شاعر :

نوادير الشطرنج في وقتهـا  
أحر من ملتهب الجمر  
كم من ضعيف اللعب كانت له  
عوناً على مستحسن القمر<sup>(١)</sup>

ولفنون الهزل والنوادر المدهشة الموازية للشطرنج وظائف عدة منها إسهامها في خروج اللاعب ، ولو للحظة ، من دائرة التركيز الذهني الشديد والكبير الذي يلتزمه اللاعب أثناء ممارسة هذه اللعبة ، وهي تمنح اللاعب السارد ثقة الراوي وتطلعاته لتحريك شحوه ، وكأن الراوي يربط بين عدة شخوص : شخوص النادرة أو الحكاية ، اللاعب ، قطع الشطرنج .

كما أن هذه الممارسة تمنحه سرعة (القمر) هذا المفهوم المتداول مرتبطاً بالشطرنج إذ يمكن أن يسارع أثناء تشتت انتباه اللاعب الآخر بالضحك من النادرة أو متابعة دهشة الحكاية إلى تغيير موقع أحد القطع الشطرنجية أو يمارس تغييراً على الرقعة ما يؤدي إلى انقلاب في موازين القوى في هذه اللعبة فينقلب

---

(١) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص : ٣٢٦ .

الربح إلى خسارة ، وتتحول الخسارة إلى ربح بفعل القمر المرتبط بفعل (أدبي) . والشطرنج ميدان معركة رمزي يؤسس لغلبة علاقات القوة والهيمنة ولذا كانت اللعبة لدى علية القوم أكثر شيوعاً ، ولا يعني ذلك قصورها على هذه الفئة فحسب ، إذ يكمن التطلع إلى هذه اللعبة من كل الفئات بلا تحديد أو تمييز . وهذا الميدان الرمزي كثيراً ما يظهر وكأنه يؤسس أيضاً لعلاقات تكشف عن طبيعة الاقتتال في البشرية بين المتشابهين ، لقد استثمرت هذه اللعبة على مستوى النخب السياسية «ويقال إن صصه لما وضع الشطرنج وعرضه على الملك شهرام المذكور أعجبه وفرح به كثيراً أمر أن يكون في بيوت الديانة ورآه أفضل ما علم لأنه آلة للحرب وعز للدين والدنيا وأساس لكل عدل وأظهر الشكر والسرور على ما أنعم عليه في ملكه منه وقال لصصه اقترح علي ما تشتهي فقال له اقترحت أن تضع حبة قمح في البيت الأول ولا تزال تضعها حتى تنتهي إلى آخرها فمهما بلغ تعطيني فاستصغر الملك ذلك وأنكر عليه» .<sup>(١)</sup>

ويضاف إلى ذلك تمثيل الشطرنج لروح الحضارة إذ ينتقل ويهاجر من حضارة إلى أخرى حتى بداياته التي تعددت بصور مختلفة ورد في بعضها : إن اللعبة وضعها حكيم هندي لأمير عربي ، ولو لاحظنا خطط ازدهار هذه اللعبة لوجدنا تنقلها ورواجها مع السطوع الحضاري للأمم ، ذلك لأنه قائم على تكريس السلطة والتفوق والتأسيس لهما ، واحتلال المواقع وتكريسها للمحتل ، والنموذج التالي يوضح خطط ازدهار هذه اللعبة منذ القدم :

الهند      العرب      الغرب

القديم      الوسيط      الحديث

ويُشار إلى أنه عندما وضعت قوانين اللعبة اللجنة الدولية للشطرنج في (جونتبرج) سنجد المادة الأولى من القانون «تلعب لعبة الشطرنج بين خصمين

---

(١) ابن خلكان ، ج ٤ ، ص ٣٥٧ .



بواسطة أحجار تنقل على رقعة تسمى رقعة الشطرنج» ونلاحظ تكراراً لطبيعة الخصومة كصفة متصلة بالذوات في كافة اللغات التي تترجم هذه المادة الأولى في القانون الأساس لهذه اللعبة . إن اللعبة تكرار لخصومة الحرب وتمثيل لها ، ولعلها حيلة لها وحيلة بها ، بنيت من أجل السلوى عن الحرب لتكون لعبة سلام ، إنها حيلة لها بتمثلها وعدم الدخول في تفاصيل الحرب القاسية ، وحيلة بها للتدريب على الاستعداد لها وهنا يظهر وجهها الآخر الذي يضاف إلى ما سبق ، وهو أنها تجمع بين متناقضين إذ أنها تمنع من الحرب وتوقع الآخرين فيها ، ولو تأملنا قطع الشطرنج نفسها لوجدناها داعمة لهذا ، فالجندي والقلعة والحصان والفيل مرتكزات القتال التقليدية ، بينما نجد الملك والوزير قد أحيطا بهذه الشكنة بوصفهما قائدين لمعركة حربية .

إن هذه القطع هي قوام الدولة القديمة ، وسبب ارتكانها الرئيس على الثبات والاستقرار ، ولعل المتأمل سيجد موقع هذه القطع الشطرنجية المسماة (الجنود) أو البيادق هو الموقع الرئيس المعرض للفناء والافتتال ، كما أن حركة البيدق الأولية لا تمنعه من أن يكون ضحية سريعة السقوط (مربعان إلى الأمام) ، وهي حركة تقتضي أن يندفع البيدق سريعاً مع عجز عن التراجع ومن ثم سرعة سقوط البيدق . إلى جانب ذلك فإن هذه الحركة الاعتيادية تعبر تعبيراً واضحاً عن الإمكانات العادية التي يتمتع بها جندي القتال . ويضاف إلى ذلك مهاجمة الجندي الوترية خطوة واحدة فحسب في حركة (سينمائية) تحاكي حركة الجندي الذي يحارب بالسيف ، إذ تبدو إصابته لعدوه إصابة وترية أيضاً محاكية لحركة الجندي في ميدان القتال . ويتحول ذلك البيدق في رقعة الشطرنج إلى سلطة عليا في الرقعة إذا اجتاز كل المربعات الثمانية وهو أمر نادر الحدوث ، وقد صور أحد الشعراء وهو محمد عبد الرحيم الوادي هذا بما كتبه إلى الوالي حين طلب منه الحسبة :

أُنلني أيا خير البرية خطة  
ترفعني قدرا وتكسبني عزاً

فأعتز في أهلى كما اعتز بيدق  
على سفرة الشطرنج لما انثنى فرزا<sup>(١)</sup>

إن موقع القلعتين (الرخين) في الرقعة ينبئ عن حماية متوخاة وأمان للصف الذي يقع فيه الملك والوزير والفيلان والحصانان ، وهي القطع الأكثر أهمية في الرقعة ، ولهذا كانت وظائف القلعة الهجومية نابعة من عملية التمرکز الرأسي في الرقعة كاملة ، وحين ننظر إلى القلاع الأربع في لحظة البداية سنجدها متمركزة في أربع زوايا قائمة ، وكأن حركة القلاع قد استلهمت من ذلك التمرکز . أما الفيلان فهما ينطلقان في الرقعة في إطار الحركة الوترية بحرية لا يعوقها سوى وجود قطعة أمام الفيل الذي استخدم في المعارك التقليدية ، قديماً ، وسيلة لإثارة الرعب والفرع ونشر الهلع في قلوب الجنود ، ولذا فإن حركته تأتي غير منظمة تتمثل على سطح الرقعة ببعدها عن الرأسية أو الأفقية ، ولا يمثل هذه الحركة الفوضوية للفيلة في ميدان المعركة غير حركة وترية على الرقعة .

وللحصانين حركتهما التي تشكل الحرف (L) باللغة الإنجليزية وهي حركة وثب يتجاوز بها قطعة شطرنج واحدة أو قطعتين في آن في نهاية القفزة ، وتعد هذه ميزة ينفرد بها الحصان ، فالقفزة في الميدان من لوازم الخيل و صفاتها ، وقد استطاعت رقعة الشطرنج تمثيلها جيداً . هذه الميزة تنفرد بها القطعة التي تشير إلى الحصان ، فالقفزة في ميدان المعركة من أبرز صفات الحصان ، ولذا جاءت حركة هذه القطعة معبرة تعبيراً موفقاً ، فالحصان (القطعة) في تجاوزه الحواجز المتمثلة في القطع الأخرى أغرب القطع في اللعب . هنا ألا تتفق معي في كون هذه اللعبة تحمل في تكوينها الأولي ملامح إنسانية إبداعية ، تزيد حدة الإبداع عندما تتحول اللعبة من ثابت إلى متحرك ؟ إن كل حركة في اللعبة تعبير تام على سطح الرقعة وتغيير لفعاليات الزمن وتحويل الملامح المكان فيه . إن هذا الشراء والتعدد في نقالات اللعبة جدير بالتتبع «لو لم يكن فيها شيء من المعوز في

---

(١) نفح الطيب ، ج٦ ، ص ٢٣٠ .

غيرها إلا أن أهل الأرض يلعبون بها منذ ألاف السنين ما وقع فيها دست معاد قط من أوله إلى آخره لكفى» (١).

وعلى طريقتها في احتوائها على سلة نقائص فإن الشطرنج ، مع كونها نشأت في دوائر النخب ، لم تعد لعبة عليية القوم فحسب ، ولكنها لعبة ظلت تتغلغل في القاع وتعايش مع الترف في آن ، يلعبها العامة والخاصة في مجموعات مصاحبة لأداء الأفراد ، ذلك لكونها لعبة تكرر للذات وتشحذ عقدة التمرکز الذاتي ، وقد كان الخليفة العباسي المأمون يحب اللعب بها ، واقترح في الشطرنج أشياء كثيرة ، وكان يكره أن يقال : نلعب بها ويفضل القول : نتناقل بها ، (٢) ولعل ذلك يعود إلى وعي كبير من الخليفة المأمون بأهمية اللعبة ورغبته في تحويلها من مجرد لعبة تمارس كغيرها من الألعاب في بلاط الخليفة إلى ممارسة وطقس يرسم مخططاً للذكاء والتفوق . ويثبت هذا ما روي عنه أنه كان مولعاً بها ويقول عنها هذا يشحذ الذهن ، وكان يقول : لا أسمع أحداً يقول : تعال حتى نلعب ولكن يقول : نتداول أو نتناقل ولم يكن حاذقاً بها ، وكان يقول : أنا أدبر الدنيا فأتسع لذلك وأضيق عن تدبير شبرين في شبرين ، (٣) وفي هذا نقل للشطرنج من كونه لعبة إلى كونه لغة متداولة ومتناقلة تأكيداً على أهميتها المعجزة التي تلغي الأقوال الواردة عن العرب في إثبات نطها اللعبي فحسب .

أورد الثعالبي عن الصولي قوله : «إن الخراساني الشاعر كان حاذقاً بلعب الشطرنج فعابها الحسين بن محمد مكايده له فقال : صاحبها أبداً مشغول مهموم يحلف بالله كاذباً ، يعتذر مبطلاً ويشتم نفسه ، ويسخط ربه ، وكل صناعة لا تجوز المكابرة فيها غيرها فإن صاحبها يغلب في ساعة فتتنقضي دعواه ، وهي لعب

---

(١) القاضي التنوخي : نشوار المحاضرة ، ج٢ ، ص ٢٧١ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٠ ، ص ٢٧٨ .

(٣) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ج٢ ، ص ٣٢٤ .

الصائم إذا جاع ، والعامل إذا عزل ، والمخمور حتى يفيق ، وإنما هي خشب هزم خشبًا ولعب أورث من غير طائل تعبًا ، ثم إن الرجل ليسأل عن غلامه فيقال هو يلعب فيضربه ولا يستحي أن يقول : تعالوا حتى نلعب الشطرنج ، وأنت تقول في الكناسي : ما أحذقه! وفي الطنبوري : ما أضربه! فإذا عبرت عن الشطرنجي ، قلت : ما أَلعبه! فما تقول في العبارة عن صناعة الكناس أحسن من العبارة عن صاحبها» . (١)

شاع أن اللعبة كانت مخصصة لكبار القوم وسراتهم ، ولا سيما في العصر الوسيط ، إلا أن قولاً أورده أبو هلال العسكري في كتابته حول الشعر والخطابة في الصناعتين يستحق الوقوف عنده ، إذ يشير إلى البدء في تحديد المستوى الرفيع للعبة ومن ثم تحول اللعبة إلى العامة لتصبح مشاعًا ، وهو موقف متحيز من صاحب الصناعتين يهدف إلى المحافظة على أن تبقى اللعبة متصلة بالخاصة فحسب « . . . ومع ذلك فإن أكمل صفات الخطيب والكاتب أن يكونا شاعرين . كما أن من أتم صفات الشاعر أن يكون خطيبًا كاتبًا ، والذي قصر بالشعر كثرته وتعاطي كل أحد له حتى العامة والسفلة فلحقه من النقص ما لحق الشطرنج حين تعاطاهما كل أحد» . (٢) رفضت لعبة الشطرنج الاستكانة إلى المستوى النخبوي (الأرستقراطي) للاعبينها ، وهي مخالفة لأغلب الألعاب التي تنبثق من مستويات أدنى لتتدرج إلى الأعلى ، ذلك أن هذه اللعبة قد نبتت في أرض نخبوية (أرستقراطية) وهاجرت من هذه الأرض هجرات مؤقتة لا لتدع الإقامة في هذه الأرض ولكن لتضم إليها أصواتا أخرى في مناطق آخر ، كونها تبحث عن تنمية ورعاية لا يشترط تحققهما في المستويات الأعلى .

---

(١) الثعالبي : اللطائف والظرائف ، ص ٨٩ .

(٢) أبو هلال العسكري : الصناعتين ، ص ١٣٩ ، وأورده القلقشندي عن أبي هلال في : صبح

الأعشى ، ج ١ ، ص ٩٢ .

ونلاحظ موقف الخليفة العباسي حين يعلن عجزه الكبير عن التحكم في هذه اللعبة التي تتميز بضآلة الحجم ، وكأن ضآلة الحجم للعبة معادل طبيعي لمستوى الدهماء الذين ينكر عليهم أبو هلال العسكري ممارستها . ومن خلال تركيب مبسط من المقتبسين السابقين يتوضع لنا النموذج التالي الذي يكشف عن العناصر السائدة في النصين :

✽ الخليفة بوصفه رأس المجتمع وممثل القمة

✽ العامة

✽ اللعبة

✽ الدولة (ملك الأرض)

يرى الخليفة دولته حقاً معتاداً له كما يرى نفسه مجيداً لإدارة شؤونها وتسيير أمورها ، هذا ما يشير إليه النص ، ولكنه يعجز عن التحكم في رقعة لا تتجاوز شبرين في شبرين ، أو لعلها ذراعين في ذراعين ، وإذا كان المأمون لا يجيد لعب الشطرنج ، فإنه كان يقول : عجباً مني كيف أدبر ملك الأرض من الشرق إلى الغرب ولا أحسن تدبير رقعة ذراعين في ذراعين .<sup>(١)</sup>

وما دام الأمر كذلك فإن المحاولة والممارسة للخليفة جائزة ومشروعة تستمد هذه المشروعية من قدرته على التحكم في ما هو أكبر حجماً وأضخم رسالة ، ملك الأرض أمر يبيح له الممارسة مع إظهاره التعجب من عدم تحقيق نجاح له في ممارسة الشطرنج التي تستعصي عليه .

إن الشطرنج لعبة لا تمنح نفسها إلا لمن كان على قدر كبير من تحمل المشقة والتحكم في الأمور وضبط الأعصاب . إن هذه الأمور ينتفي وجودها مجتمعة لدى العامة ، فالعامة - في نظر النخبة - لا تملك قطميراً يمثل جواز سفر إلى عالم الشطرنج المعجز للخليفة ولغيره من علية القوم ، ولكنهم يمنحون النقص للعبة . لذا كان خطاب العسكري والسيوطي والقلقشندي خطاباً صادراً من نزعة

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، ج ٢ ، ص : ١٦٠ .

ارستقراطية سائدة . تتضح هذه النزعة بجلاء حينما تلح بعض كتب التراث العربي على خلق مفهوم الأوحـد والمتفرد في اللعبة إذا خرج من دائرة العامة ولو كان منهم ، ويعد ذلك تفوقاً على أهل عصره ، وتحوله إلى مفهوم نخبوي . وهذه بعض النصوص التراثية التي تجسد ذلك «ومن اشتهروا فيها وبلغوا شأواً بعيداً أبو بكر محمد بن يحيى بن عبد الله بن العباس بن محمد بن صول المعروف بالصولي الشطرنجي أحد الأدباء ، واحد وقته في لعب الشطرنج ، والناس يضربون به المثل في ذلك فيقولون لمن يبالغون في حسن لعبه فلان يلعب الشطرنج ، مثل الصولي ، وهناك من وصل به الأمر إلى الاعتقاد بأن الصولي هو الذي وضع الشطرنج ما دعا ابن خلكان في وفياته إلى إنكاره بقوله «وهو غلط فإن الذي وضعه صعصعة بن داهل الهندي ، وكان أردشير ابن بابل أول ملوك الفرس الأخيرة قد وضع النرد ولذلك قيل له النردشير» .<sup>(١)</sup>

وتربط النصوص هذا التفوق في الشطرنج بما يقارب المعجزة ، إذ يخترق به العامة بلاط الخليفة ويسهل الوصول إليه إذ لم يكن وصول أحد العوام إلى مجلس الخليفة أمراً ميسراً ، أما وقد مثل العوام سفيراً لهم وهو الصولي فلا بأس بذلك «وذكر أن الصولي في بدء دخوله إلى المكتفي ، وقد ذكر له بجودة لعبه الشطرنج ، وكان الماوردي اللاعب مقدماً عنده ، متمكناً من قلبه ، معجباً بلعبه ، فلعبا بحضرة المكتفي ، فحمل المكتفي حسن رأيه في الماوردي ، وتقدم الحرمة والألفة على نصرته وتشجيعه ، حتى أدهش ذلك الصولي في أول وهلة ، فلما اتصل اللعب بينهما ، وجمع له الصولي غايته ، وقصد قصده غلبه غلباً لا يكاد يرد عليه شيئاً ، وتبين حسن لعبه للمكتفي ، فعدل عن هواه ونصره للماوردي ، وقال له : صار ماء وردك بولاً» .<sup>(٢)</sup>

ولعل لهؤلاء العامة مبالغاتهم الكبيرة عند اللعب بها ، حين يتحول اللعب

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج ٤ ، ص : ٣٥٧ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج ٤ ، ص : ٣٢٤ .

إلى مذبحه فعلية ، فتلومهم النخبة حينذاك ، فقد ذكر المسعودي عنهم «فإذا لعبوا بها فإنما يقوم الواحد منهم قائماً فينقلها في بيوتها ، والأغلب عليهم القمار في لعبهم بالشطرنج والتّرد ، على الثياب والجواهر ، وربما أنفد الواحد منهم ما معه فيلعب في قطع عضو من أعضاء جسمه ، وهو أن يجعلوا بحضرتهم قدراً من النحاس صغيرة على نار فحم فيها دهن لحم أحمر فيغلى ذلك الدهن المدمل للجراح والماسك لسيلان الدم ، فإذا لعب في أصبع من أصابعه وقُمر قطعها بذلك الخنجر وهو مثل النار ، ثم غمس يده في ذلك الدهن ، فكواها ، ثم عاد إلى لعبه ، فإذا توجه عليه اللعب أبان أصبعاً ثانية ، وربما توجه عليه اللعب في قطع الأصابع والكف ثم الذراع والزند وسائر الأطراف ، والكل يستعمل فيه الكي بذلك الدهن ، وهو دهن عجيب يعمل من أخلاط وعقاقير بأرض الهند» واعتناقاً لمفهوم التفرد في هذه اللعبة لنا أن نسائر تراثنا الذي حدد بعض الأسماء التي أُسبغت عليها هذه الصفة إذ نلاحظ هنا رفعة الأسماء المختارة حين يراوح أولئك الكتاب في اختيارهم بين طبقات الخلفاء والعلماء والكتاب الذين حققوا شهرة تاريخية في هذه اللعبة ، فهم من عليّة القوم ، أو هم ممن تحولوا إلى عليّة للقوم ، وأصبحت ممارسة اللعبة في مجالس الخلفاء والأمراء هي السائدة والشائعة ، ولكن ذلك لم يمنع من ممارسة اللعبة على قارعة الطريق ، ونتج عن ذلك اندثار أسماء كانت نابغة في اللعبة ، ولم تذكرها كتب التراث .

وهنا تكريس آخر لمفهوم ربط اللعبة بالفرد والتفرد من جانب وربطها بـ(النخبوية) من جانب آخر ، فالجبرتي ، المتهم بالنخبوية ، يذكر هذه الصفة (إجادة لعب الشطرنج) على أنها من فضائل بعض من سرد سيرهم التي ينبغي أن تذكر له ، وكثيراً ما أشار إلى ذلك .

كما يخرج صوت ابن الرومي مادحاً فتاه بالنسب إلى الشطرنج مرة ، وإلى الخداع مرة أخرى يقول :

فتى يغترف من بحر  
فتى يقلع من صخر

فــــــتى الشُّطرنج والنَّرد  
فتى الفُلج ، فتى القَمَر  
ومن اشتهر بها وكان من جِلة الكتاب أبو الحسن بن أبي البغل الكاتب ،  
ولقد قال أبو الحسن عنها في أبيات تصل بين المستويين : القاع والقمة ، حتى  
على مستوى البنية الإيقاعية :

فتى نصب الشُّطرنج كيما يرى بها  
عواقب لا تسمولها عين جاهل  
وأبصر أعقاب الأحاديث في غد  
بعيني مجد في مخيلة هازل  
فأجدى على السلطان في ذاك أنه  
أراد بها كيف اتقاء الهوازل  
وتصريف ما فيها إذا ما اعتبرته  
شبيه بتصريف القنا والقنابل<sup>(١)</sup>

كان الصولي أشهر اللاعبين في تاريخ هذه اللعبة بما يمتلكه من إمكانيات  
وقدرات ذهنية استطاع بها أن يهزم منافسيه ومنهم الماوردي في بلاط المكتفي  
«وكان أوحده وقته في لعب الشُّطرنج ، لم يكن في عصره مثله في معرفته والناس  
إلى الان يضربون به المثل في ذلك ، فيقولون لمن يبالغون في حسن لعبه فلان  
يلعب الشُّطرنج مثل الصولي»<sup>(٢)</sup>.

وذكر الجبرتي في تاريخه بعض من عرفوا بهذه اللعبة ومنهم الأمير الجليل  
عبد الرحمن بك عثمان وهو مملوك عثمان بك الجرجاوي الذي قتل في واقعة  
قراميدان أيام حمزة باشا . قال عنه الجبرتي «كان يميل بطبعه إلى المعارف ،

---

(١) مروج الذهب ، ج٤ ، ص ٣٢٧ ، وقد نسب الثعالبي هذه الأبيات إلى ابن الرومي انظر : اللطائف  
والظرائف ، ص ٨٩ .

(٢) ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، ج٤ ، ص ٣٥٧ .



ويحب أهل العلم والفضائل ، ويجيد لعب الشطرنج ، ومن مآثره أنه عمر جامع أبي هريرة الذي بالجيزة على الصفة التي هو عليها الآن .<sup>(١)</sup> ومنهم خليل أفندي البغدادي الذي ولد ببغداد دار السلام ، وتربى في حجر والده ونشأ بها في نعمة ورفاهية وكان والده من أعيان بغداد وعظمائها ، وبينه وبين حاكمها عثمان باشا معاشرة وخلطة ومعاملة « . . . . » وكان يجيد لعب الشطرنج ، ولا يباريه فيه أحد مع الخفة والسرعة ، وقل من يتناقل معه فيه بالكامل . بل كان يناقل غالب الحذاق بدون الفرزان أو أحد الرخين ، ولم أر من ناقله بالكامل إلا الشيخ سلامة الكتبي .<sup>(٢)</sup>

ومن الذين عرفوا بها : شهاب الدين أحمد بن تقي الدين عبد الرحمن بن العلامة جمال الدين بن هشام المصري النحوي اشتغل كثيرا بمصر وأخذ عن الشيخ عز الدين ابن جماعة وغيره وفاق في العربية وغيرها وكان يجيد لعب الشطرنج وانصلح بآخره قال البرهان البقاعي كان شريف النفس لم يتدنس بشيء من وظائف الفقهاء وكان ثاقب الذهن نافذ الفكر فاق جميع أقرانه في هذا الشأن مع صرف غالب زمانه في لعب الشطرنج انتهى سكن دمشق فمات بها في رابع جمادى الآخرة .<sup>(٣)</sup>

أما عبدالله بن أحمد بن أحمد بن عبد الله بن نصر النحوي البغدادي المعروف بابن الخشاب فقد كان علامة عصره وفي درجة أبي علي الفارسي ، وهو إمام في النحو واللغة والحديث والمنطق والفلسفة والحساب ، كتب بخطه الكثير ، وانتفع بعلمه الجم الغفير . وروى عنه أبو سعيد بن السمعاني ، وكان بخيلاً شحيحاً مقترراً على نفسه ، يلعب الشطرنج على قارعة الطريق ، ويقف

---

(١) الجبرتي ، عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ١٢٧ .

(٢) الجبرتي : عجائب الآثار ، ج ٢ ، ص ٦٥ .

(٣) شذرات الذهب ، ج ٤ ، ص ٢١٢ .

على المشعبدین ونحوهم ، وله مصنفات منها : شرح اللمع إلى باب البدل في ثلاثة أسفار كبار .<sup>(١)</sup>

ومن اشتهر من الأدباء بمعرفته لهذه اللعبة أبو القاسم الزعفراني عمر بن إبراهيم من أهل العراق شيخ شعراء عصره وأبرز ندماء الصاحب ، كان جامعاً لآداب المندامة ، وعارفاً بشروط المعاقرة ، حاذقاً بلعب الشطرنج ، متقدم القدم فيه ، وحين سرى في طريق الرشيد بمصباح الشيب ، وساعد الصاحب على رفض الشراب ، ونفض تلك الأسباب أرادته فخر الدولة على مجالسته .  
ومن البارعين الذين برزوا في ثقافتنا العربية أولئك الذين ألفوا في الشطرنج كتباً وقوانين اللعب به ، ومن هؤلاء :

- \* أبو يوسف المصيصي واسمه يعقوب بن محمد الحاسب وله من الكتب كتاب الجبر والمقابلة كتاب الوصايا كتاب تضاعيف بيوت الشطرنج .<sup>(٢)</sup>
- \* العدلي وكان من الذين يلعبون بين يدي المتوكل .
- \* الرازي له كتاب لطيف في الشطرنج .
- \* الصولي أبو بكر محمد بن يحيى وقد تقدم ذكره فله فيها كتاب الشطرنج النسخة الأولى وكتاب الشطرنج النسخة الثانية .
- \* اللجلاج وهو أبو الفرج محمد بن عبيد الله ، وخرج إلى شیراز إلى الملك عضد الدولة وبشیراز مات في سنة نيف وستين وثلاثمائة وكان فيها بارعا وله من الكتب فيها كتاب منصوبات الشطرنج .
- \* ابن الاقليدسي أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن صالح ، وكان من الحذاق بها ، وله كتاب مجموع في منصوبات الشطرنج .<sup>(٣)</sup>

---

(١) البلغة للفيروزآبادي ج ٢ ، ص ١٢٠ .

(٢) الفهرست ، ص ٣٩٢ .

(٣) الفهرست ، ص ٢٢١ ، ٢٢٢ .

- \* أبو زيد البلخي ، وله كتاب الشطرنج .<sup>(١)</sup>
- \* أبو العباس أحمد بن محمد السرخسي الطبيب المتوفى سنة ٢٨٦هـ ، وله كتاب الشطرنج .
- \* الشيخ تاج الدين علي بن محمد المعروف بابن دريهم الموصللي ، له كتاب إيقاظ المصيب فيما في الشطرنج من المناصب .<sup>(٢)</sup>
- \* وقد حكى عن كسرى أنو شروان انه لما سمع كتاب كليله ودمنة أرسل برزويه الحكيم إلى بلاد الهند لاستخراج الكتاب وأعطاه خمسين جراباً في كل جراب عشرة آلاف دينار ، فلما استخرج هذا الكتاب مع الشطرنج التام الذي هو عشرة في عشرة من بلاد الهند نقله من الهندية إلى الفارسية ، ثم ترجمه في الإسلام عبد الله بن المقفع الخطيب كاتب أبي جعفر المنصور من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية .<sup>(٣)</sup>
- \* محمد بن علي الحذامي المتوفى سنة ٧٢٣ ، وله كتاب تحريم الشطرنج .
- \* العلامة الرحلة الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد ابن عبد الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي الأصل القاهري الشافعي بالمدينة الشريفة حال مجاورته الأخيرة بها وعمره إحدى وسبعون سنة ، له كتاب عمدة المحتج في حكم الشطرنج .<sup>(٤)</sup>
- \* محمد بن أسعد الشيخ بدر الدين التستري الذي توفي بهمدان إذ وصف وكان مداوماً على لعب الشطرنج<sup>٥</sup>
- \* ويذكر أن أحد المغرمين بالزخارف العربية كتب رباعية قسم كلماتها على جميع

(١) الفهرست ، ص ١٩٨ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ ، ص ١٤٣٠ .

(٣) كشف الظنون ج ٢ ، ص ١٥٠٨ .

(٤) النور السافر ، ص ١٩ .

(٥) طبقات الشافعية ، ج ٢ ، ص ٢٨٥ .

مربعات رقعة الشطرنج بالطريقة المذكورة في الرسم الأول . وجعل الكلمات عوض الأرقام فتتبع كلمات هذه الرقعة ، وانتقل فيها من الأسود إلى الأبيض ، وبالعكس بطريقة سير الفرس في كل اتجاه ، فترى أنك قد انتقلت بالفرس في كامل مربعات رقعة الشطرنج ، أي نقلت الفرس (٦٣) مرة :

هي الأفراس تقرن قافزات  
وفي الخانات أجمع قد تكون  
تعين الشاه حيث كبير عير  
وأهوال بوثبتتها تهون  
وفي الإبهام ليس لها نظير  
فرماها ووجهتها فنون  
رشيقات وقد أخذت بلبي  
جميلات وبهجتها فنون<sup>(١)</sup>

ونلاحظ إطلاق (كتاب الشطرنج) على أغلب الكتب المصنفة ويبدو أن هذه الكتب تتميز بانقطاعها عن الكتب السابقة ، فالكتاب الأول لا يتصل بالجديد (الثاني) ما أدى إلى تشابه الأسماء وتشابه الخطط المطروحة للدرس .

وسنعرض هنا لبعض الانعكاسات التي أحدثتها هذه اللعبة في الأدب العربي شعراً ونثراً ، فمن أجمل القراءات التي تتصل بهذه اللعبة والتي تكشف عن مثالبها ومعاييبها ، ما أورده أبو القاسم الكسروي الذي كانت له ملاحظات مختلفة عن النظرة السائدة ، وهو أردستاني من أهل أصفهان من الأدباء الطائرين على بخارى والمربطين بها وكان جامعاً بين الكتابة والشعر ضارباً بأوفر السهم في الظرف ، وكان يقول : قولي لعدوي أعزه الله إنما أريد أعزه الله حتى لا يوجد في الدنيا وقولي : أطال الله بقاءك وأدام عزك وتأييدك وجعلني فداك أي من هذا الدعاء كله فصار الدعاء لي دونه . كان يبغض الشطرنج ويذمها ، ولا يقارب من

---

(١) بكري شيخ أمين : البلاغة العربية في ثوبها الجديد ، علم البديع ، ص ١٩٨ .

يشتغل بها ، ويطنب في ذكر عيوبهم ، ويقول : لا ترى شطرنجياً غنياً إلا بخيلاً ،  
ولا فقيراً إلا طفيلياً ، ولا تسمع نادرة باردة إلا على الشُّطرنج ، فإذا جرى ذكر  
شيء منها قيل : جاء الزمهرير ولا يتمثل بها إلا فيما يعاب ويذم ويكره ، فإذا  
خرئ السكران قيل : قد فرزن ، وإذا كان مع الغلام الصبيح المليح رقيب ثقيل  
قيل : معه فرزان بيدق ، وإذا استحققر قدر الإنسان قيل : كأنه بيدق ولا سيما إذا  
اجتمع فيه قصر القد وصغر القدر ، وإذا ذكر وقوع الإنسان في ورطة وهلكة على  
يد عدو قيل كما قال عبد الله ابن المعتز وأجاد :

قل للشقي وقعت في الفخ

أودت بشأهك ضربة الرخ

وإذا روي طفيلي يسيء الأدب على المائدة قيل : انظروا إلى يد الكشحان  
كأنها الرخ في الرقعة ، وإذا روي زيادة لا يحتاج إليها قيل : زاد في الشُّطرنج  
بغلة ، وإذا سب دخيل ساقط قيل : من أنت في الرقعة ، وإذا ذكر وضع ارتفع  
قيل : متى تفرزنت يا بيدق ، أو كما قال أبوتمام :

قل لي متى فـرـزنت

سرعة ما أرى يا بيدق

ولم يمنع ذلك أيضاً ابن المعتز أن ينتصر لهذه اللعبة وكأنه يرد على  
الكسروي وغيره في هذه الأبيات :

يا عائب الشُّطرنج من جهله

وليس في الشُّطرنج من باس

في فهمها علم وفي لعبها

شغل عن الغيبة للناس

وتذهل العاشق عن عشقه

وصاحب الكاس عن الكاس

وصاحب الحرب بتدبيرها

يزداد في الشدة والبأس

وأهلها في حسن آدابهم  
من خير أصحاب وجلاس<sup>(١)</sup>  
ويرتبط الشطرنج بموضوعة (ثيمة) الإعجاب بالممارسة والزهو بالنتيجة كما  
يرى ابن الرومي في أبياته :

لو صادفت البقرة فيل الزنج  
وهملج البرغوث تحت السرج  
وأصبح الهفت كـشطر البنج  
مما كان في الحج ولا في الدج  
أعجب من لعبك بالشطرنج

ولصفي الدين الحلبي قوله في قصيدته التي بعنوان (لعبة الشطرنج)  
وغزال غازلته بعد بين  
ألفت بينه المدام وبينني  
صالحـتني الأيام بالقرب منه  
بعدما كنت منه صفر اليدين  
من بني التـرك لا أطيع له  
تركاً ولو حان في المحبة حينني

لقد انعكست الشطرنج ، كما رأينا ، على الأقوال المأثورة عن العرب ومنه  
قولهم (بيدق الشطرنج ) ، حيث يطلق على القصير الدنيء الساقط ، ومنه  
قولهم :

ألا يا بيدق الشطرنج  
في القيامة والقامة

---

(١) الثعالبي : اللطائف والطرائف ، ص ٨٨ .

لقد صغر منك الكل  
غير الدبر والهامة

ومنه قولهم : (بغلة الشطرنج) يشبه بها ما يستغنى عنه ولا يحتاج إليه ،  
ويكون دخيلاً في القوم ، إذ ليس للبغل مكان في دواب الشطرنج . وله يقال في  
المثل : من أنت في الرقعة ، قال بعض العصريين :

يا كـاتـبـا أقـبـل من زرنـج  
مـبـرقـع الوجـه بلون الزنـج  
اذهـب فـأنـت بـغـلـة الشـطـرنـج<sup>(١)</sup>

ومن نكتته البديعة الغريبة في الشطرنج يقول بدر الدين بن الصاحب :  
تأمل ترى الشطرنج كالدهر دولة  
نهاراً وليلاً ثم يؤسا وأنعم  
محركها باق وتغنى جميعها  
وبعد الفنا تحيي وتبعث أعظما

وفي وصف حركة البيدق قالت العرب :  
أما ترى البيدق الشطرنج أكسبه  
حسن التنقل حسناً فوق زينته  
ويزدهر الشعر الأندلسي بوصفه شعر رفاهية وترف بالشطرنج ومفرداتها ،  
وكانت قصائدهم الرثائية حافزاً آخر لأن ترد فيها هذه المفردات وتكرس في  
النص الأندلسي ، فمن أحسن ما مر بي مما رثي به المعتمد على الله مقطوعة من  
شعر ابن اللبانة أولها :

---

(١) الثعالبي : ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ، ج ١ ، ص ٦٦٦ .

لكل شيء من الأشياء ميقات  
وللمنى من منايهن غايات  
والدهر في صبغة الحرباء منغمس  
ألوان حالاته فيها استحالات  
ونحن من لعب الشطرنج في يده  
وربما قمرت بالبيدق الشاة  
فانفض يديك من الدنيا وساكنها  
فالأرض قد أفقرت والناس قد ماتوا<sup>(١)</sup>

وقد أطلق الأبيهي على بعض أنواع الضيوف الشطرنجي وهو الذي يرفع زبدية ويضع زبدية أخرى مكانها «ومن الضيوف من يقال له لعب الشطرنج فيأباه ويشغل بالدندنة فيقع في الفضول». <sup>(٢)</sup>

بني الشطرنج على عدد المربعات وألوان القطع ، وقامت أسس لعبه على التحكم في اللون والعدد حيث عدد النقلات لحجارتها وأعداد مربعاته والنسب بينهما ، وألوان قطعه ورقعته ، إلا أن تاريخ العصر الوسيط قد أسهم في فضح ما استتر في عوالم الشطرنج العددية التي قد لا يحتمل العقل البسيط تتبعها ولهذا كان جعله مثلاً للعالم وأهلها فرتب بعض واضعيه الرقعة اثني عشر بيتاً ، على عدد شهور السنة والقطع ثلاثون قطعة بعدد أيام كل شهر وجعل الفصوص مثل القدر وتقلده بأهل الدنيا .

ولعلاقة الرقم (سنة) بالشطرنج أوجه معروفة لعل أبرزها يتمثل في الهيئات التي ذكرها المسعودي إذ تحيل إلى هيئات أكثر رصوخاً ، وقد تتخذ وجهاً آخر نحو ما قيل : إن الشطرنج كلمة فارسية معربة تعني الألوان الستة لأن اللعبة

---

(١) المعجب ، ص ١٤٧ ، وانظر نفح الطيب ج ٤ ، ص ٢٥٧ .

(٢) الأبيهي : المستطرف ج ١ ، ص ٤٠٣ ، ٤٠٤ .



تتكون من ستة أنواع : الشاه والفرز والفيل والفرس والرخ والبيدق . وتصنع قطع الشطرنج من السابغ الأحمر اللون وهو خشب حسن اللون ثقيل الوزن لا رائحة له ، إلا أنه تتخذ منه المنجورات والمخروطات كالدوي وقطع الشطرنج ونحوها مع ما يدخل فيه من الأعمال الطيبة .<sup>(١)</sup>

لعب أحد ملوك الهند بالشطرنج مع حكمائه ، وجعلها مصورة تماثيل مشكلة على صور الناطقين وغيرهم ، من الحيوان ، مما ليس بناطق ، وجعلهم درجات ومراتب . ومثل الشاه بالمدير الرئيس وكذلك مما يليه من القطع ، وأقام ذلك مثلاً للأجساد العلوية التي تمثل الأجسام السماوية من السبعة والاثني عشر ، وأفرد كل قطعة منها بكوكب ، وجعلها ضابطة للمملكة» .<sup>(٢)</sup>

لقد رأى القدماء أن هذه اللعبة تخفي سرّاً ولا تجهز به ، ويتصل ذلك بحسابات كبيرة في الفلك والتنجيم . «وللهند في لعب الشطرنج سر يسرونه في تضاعيف حسابها ، ويتغلغلون بذلك إلى ما علا من الأفلاك ، وما إليه منتهى العلة الأولى» .<sup>(٣)</sup>

وقد عم هذا التفوق والسر هذين اللونين اللذين تتشكل منهما أحجار اللعبة وهما الأبيض والأسود بوصفهما شبيهين لكونية الليل والنهار ، وما يزيد اللعبة لغزاً غريباً إصرار لاعبيها ومشروعيتها على تقديم اللعب باللون الأبيض قبل الأسود ، ولعل العلة تعود إلى رأي كثير من شعوب العالم في اللون الأبيض إذ يرون فيه تفوقاً ملكياً ، أو لعلها تعود إلى عنصرية وضع اللعبة التي تعلن تفوق اللون الأبيض بوصفه نابغاً من تفوق الجنس الأبيض ، لقد كتب هرمان ملفيل «وبسبب البياض نسب التفوق إلى الجنس الإنساني فمنح الإنسان الأبيض

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى ، ج ٢ ، ص ١٣٩ .

(٢) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٨٠ .

(٣) المسعودي : مروج الذهب ، ج ١ ، ص ٨١ .

سيادة مثالية فوق كل الشعوب الملونة»<sup>(١)</sup>، وربما كان المصدر الذي منح هذه السيادة المثالية للجنس الأبيض هو لعبة الشطرنج لا اللون نفسه .  
إن ما يزيد الأمور دقة أكثر دخول الشطرنج إلى عالم الحاسوب (الكمبيوتر) وتحوله من لعبة تعتمد القطبين إلى لعبة تعتمد على القطب الواحد ، وكأنها بذلك تتوازى مع النظام العالمي الجديد ذي القطب الواحد ، إذ يفترض فيك الحاسوب بدئيًا القيام باختيار اللون الأبيض ليكون الحاسوب اللاعب الثاني المغيب هو اللون الأسود ولتقوم بنفسك باختيار قوة خصمك والمستوى الذي تضمن به الفوز عليه والتفوق النهائي . كما يمكنك اختيار صيغة مختلفة للصراع وهذه الحرية الاختيارية تمثل بها هذه اللعبة نموذجاً جديداً مقترحاً للصراع كما ينهجه النظام العالمي الجديد في تاريخنا الحديث . وهو ما يعني مجازة اللعبة للأوضاع العالمية السائدة أو لنقل : مجازة الأوضاع العالمية السائدة لهذه اللعبة وتأثرها بنموذجها .

---

(١) ملفيل : موبي ديك ، ص ٣١٦ .